جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد 03 السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

الذات البيانية الكمية كنتاج لثورة الذكاء الاصطناعي

The Quantified Data-self as a product of the artificial intelligence revolution

تيمجغدين نادية [1]

n.timedjeghidine@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/06 **تاريخ النشر**: 2025/06/01
Received: 06/10/2024 **published: 01/06/2025**

ملخص المقال:

اكتسبت الذات في الفكر الفلسفي معان مختلفة إذ كانت تقتصر على الوعي ومعرفة الجوهر وتغير مفهومها إلى كون الذات مجرد شيء ينظر إليه نتيجة الأفكار الأيديولوجية وحتى الجنسية. لكن في وقتنا الحالي ارتبطت بمدى نقل التفاصيل الشخصية وتخزينها على قواعد بيانات الحوسبة السحابية، كل هذا أفرز إشكالية فقدان الذات في ظل عالم الذكاء الاصطناعي وظهور ذات ثانية وكأن العالم الحقيقي والعالم الافتراضي ينهاران على بعضهما البعض مما يؤثر على الوعي بالذات. لذلك تهدف هذه الورقة البحثية إلى الحديث عن الذات البيانية الكمية كنتاج لثورة الذكاء الاصطناعي والتقنيات الرقمية التي غيرت نوع المعرفة الذاتية وأصبحت مؤتمتة، كنتاج لذلك لابد من اقتران تحسين الذات بالجانب الأخلاقي والتفكير في الفضيلة الانسانية لتحقيق الازدهار البشري.

كلمات مفتاحية: الذات، تشييء الذات، الذات البيانية الكمية، فقدان الذات.

Abstract:

In philosophical thought, the self-acquired different meanings, as it was limited to consciousness and its concept changed to the fact that the self is just something perceived because of ideological and sexual ideas. However, nowadays it is associated with the extent to which personal details are transferred and becomes automated, all this has produced the problematic of losing oneself in the world of artificial intelligence and the emergence of a second self. Therefore, this research paper aims to talk about the Quantified Data-self that changed the type of self-knowledge; as a result, self-improvement must be combined with the moral aspect and reflection on human virtue to achieve human prosperity.

Keywords: The self; Self-objectification; Quantified Data-self; Loss of self.

[1] جامعة آكلي محند أولحاج البويرة، المخبر المتعدد التخصصات في علوم الانسان والبيئة المجتمع(الجزائر).

مقدمة:

معرفة الذات كانت من بين المواضيع التي أرقت فكر الانسان فحاول فهمها وتحسينها إذ نجد لها خلفية في تاريخ الفكر بدءا بالتقاليد الفلسفية المختلفة الكونفوشية، الطاوية، البوذية، الهندوسية مرورا باليونان أين امتزجت الذات في أغلب تفسيراتها بالوعي والعقل وتحسين النفس، كما نجد في التقليد المسيحي أن معرفة الذات ارتبطت بالسعي إلى الكمال الذي يعني أن تكون بارا وبلا خطيئة، ثم أخذ مفهوم الذات في المجتمعات الحديثة بعدا آخر نتيجة التطور والتقدم العلمي.

انتشرت فيما بعد فكرة جعل الذات مجرد شيء مادي مثله مثل بقية المواد والسلع ليتجاوز هذا إلى فكرة التشيؤ الذاتي الجنسي الذي يمكن اعتباره نتيجة للأيديولوجيات الجنسية السائدة وتبرير الوضع الراهن بين الجنسين، كما لم يتوقف الأمر عند هذا الحد إذ لم يعد تحسين الذات يهتم بالمظهر الخارجي فحسب بل أن نقوم بتطوير عقولنا وأجسادنا، فساعدت التكنولوجيا في تحقيق ذلك من خلال كونها تمكننا من العثور على المعلومات والتسجيل في الدورات وتتبع أنفسنا وإخبار الآخرين بما نقوم به. ولكن هذا السعي المستمر لتحسين الذات إلى جانب الهوس بالذات والكمال أمر مرهق فالتقنيات لا تقدم لنا المعلومات أو تدعونا إلى التأمل فحسب، بل تقيسنا أيضا باستمرار وتدعونا لمقارنة أنفسنا بالآخرين وتجرنا إلى أنظمة قاسية لا تطاق من الانضباط الذاتي والمراقبة الذاتية والمعرفة الكمية.

انطلاقا من ذلك سنقوم بطرح الإشكالية التالية: هل أثر الذكاء الاصطناعي على تشكيل مفهوم الذات باستخدام قواعد بيانات حسابية؟ كيف يتم تكوين مفهوم الذات والجسم والعلاقات الاجتماعية من خلال التقنيات التكنولوجية؟ وما هي الآثار المترتبة على تغيير مفهوم الذات إلى الذات البيانية الكمية؟

يهدف البحث إلى الحديث عن كيفية انتقال مفهوم الذات وتشكيله في التقليد الفلسفي وصولا إلى الذات البيانية الكمية كنتاج لثورة الذكاء الاصطناعي وغيرها من التقنيات الرقمية التي تشكل نوعا أساسيا من المعرفة الذاتية، وذلك باستخدام المنهج التحليلي المقارن من خلال الإشارة إلى كيفية تشكل الذات وتمحورها حسب الخلفيات الفكرية والظروف السائدة، فالذات التي كنا نعمل على تحسينها سابقا أصبحت ذات بيانية.

مفهوم الذات في الفكر الفلسفي

للذات تاريخ طويل إذ نوقشت كموضوع للعديد من التقاليد الفلسفية والدينية المسيحية وأخذت معان متعددة حسب الخلفيات الفكرية والثقافية والدينية لكل فيلسوف وحسب كل حقبة زمنية وما يتخللها من ظروف وتطورات تكنولوجية مكنت من إعادة تشكيل مفهوم جديد للذات يتناسب معها.

بداية إذا نظرنا إلى الذات نجدها تعني الوعي والفكر وتشمل الخبرات التي يعيشها الفرد لذلك تدل على باطن الشيء وحقيقته وكل ما يرتبط بالبعد الداخلي للفرد، لكن شهد هذا المفهوم اختلافا عند الفلاسفة القدماء فنجدها لدى البعض متطابقة مع الروح مثل فكرة التناسخ فقد يتم استعارة نفس الروح على التوالي من قبل أشخاص مختلفين وبالتالي تدوم أطول من أي ذات واحدة، وفي بعض الأحيان تكون الذات هي الجسد أي تشمل الجسد مع الشخص بأكمله.

لا بد أولا أن نميز بين المفاهيم التالية: الوعي، الوعي الذاتي، الذات، الهيئة الشخصية، من ناحية يمكن تحديد مفاهيم الوعي والروح والذات على أنها متطابقة ومن ناحية أخرى ينشأ الوعي الذاتي عندما يوجه انتباه الذات نحو نفسها وعلاوة على ذلك ينبغي أن يتماهى انتباه الذات اتجاه الأشياء التجريبية مع الذات بحد ذاتها فالذات هي الموضوع المراقب، الذي له تاريخه الشخصي الخاص. وفيما يتصل بمفهوم الهوية الشخصية فإنها تمثل مجموع الخبرات ومشتقاتها الأفكار والقيم وما إلى ذلك التي ترتبط بالذات وتوضع في نظام تفسيري يثريه باستمرار كل تجربة جديدة. (Radoev Dimkov, 2020, p. 198)

عند العودة لدى الكونفوشية Confucianيرتبط مفهوم الذات بالجانب الاجتماعي للوجود البشري، ينظر إلى الذات باعتبارها ذاتا علائقية ذاتا واعية بشدة بالوجود الاجتماعي للبشر الآخرين. وبهذه الطريقة تعتمد الذات الفردية على جميع الذوات الأخرى وتتبع نداءات المتطلبات الاجتماعية بدلا من احتياجاتها ورغباتها الخاصة ووفقا لهذه العقيدة يمكن تحقيق الذات المثالية من خلال التناغم والانسجام بين التواصل اليومي للفرد مع الأفراد الآخرين في المجتمع.

تؤكد الطاوية Taoismعلى زيف اللغة فقبل فلسفة التحليل اللغوي وتفكيك "جاك دريدا Jacques Derrida" فإن ما يسمى الطاو هو جوهر الحياة والكون أو الطريق لا يمكن وصفه باللغة البشرية ولهذا السبب يتم استخدام المفارقات والتناقضات والحكايات والاستعارات والأقوال المأثورة. إن الطاو لا يمكن وصفه ووفقا للعقيدة الطاوية فإن الذات ليست سوى أحد مظاهر الطاو التي لا تعد ولا تحصى إنها للكون، تصف الطاوية في أسلوب مميز الذات بقولها بأن الإنسان الكامل ليس له ذات والإنسان الروحي ليس له إنجاز والحكيم الحقيقي ليس له اسم. (Radoev Dimkov, 2020, p. 200) وبالتالي فإن المثل الأعلى للطاوية هو تحقيق الافتقار إلى الذات أو الإيثار.

تزعم البوذية Buddism أن الذات غير موجودة وأنها وهم فالذات لا وجود لها بمعزل عن حالات الوعي، إنها تمثل سلسلة متواصلة من الحالات النفسية العابرة وهذا هو كل شيء، والذي ندرجه تحت مصطلح الذات، بالتالي ظهرت فكرة نفي الذات في حالة النير فانا، وهي حالة من الهدوء المطلق الأبدي حالة من الهدوء المطلق الأبدي حالة متعالية بممارسة التأمل تتجاوز فهم الأشخاص العاديين الذين لم يستيقظوا من وهم الذات.

الهندوسية Hinduismتنظر إلى جوهر الحياة البشرية على أنه يتألف من المعاناة وتؤكد أن هذا ناتج عن وجود مفهوم خاطئ للذات فالذات الحقيقية دائمة ولا تتغير، والذات غير الحقيقية غير دائمة وتتغير باستمرار. (Radoev Dimkov, 2020, p. 201)

إذا ما انتقلنا إلى الحضارة اليونانية فإننا سنجد قاعدة قديمة تتمثل في ‘‘اعرف نفسك بنفسك" منقوشة ذات يوم في ساحة معبد أبولو في دلفي وكررتها شخصية سقراط في حوارات أفلاطون، ففي محاورة فايدروس يشير "سقراط Socrates" إلى هذه فمن السخافة أن يبحث في موضوعات أخرى إذا كان لا يعرف نفسه، وبالنسبة لسقراط فإن معرفة نفسك تعني معرفة أنك لا تعرف بعد وأنك لا تزال بحاجة إلى تعلم الكثير فالأمر يتعلق بالاعتراف بحدود معرفتك وبجهلك لأن ذلك هو بداية تحسين نفسك.

بالنسبة ل"سقراط" نحن بحاجة إلى أن نعيش حياة طيبة إلى رعاية نفسنا والانخراط في فحص الذات من أجل تحقيق الحياة الطيبة. (Coeckelbergh, 2022, p. 9)

إن تفسير "أفلاطونPlato" لمعرفة الذات يعني التركيز على نفسك كفرد، فالذات الحقيقية هي العقل أو الفكر، ونجد كذلك أرسطو الذي يتفق مع أفلاطون في أن ذاتنا الحقيقية هي العقل.

بالنسبة للرواقيين Stoicism معرفة الذات الحقيقية قائمة على الشيء الحكيم الذي يجب القيام به بدلا من ربطها بأشياء خارجية مثل المال والشهرة والمنزل الجميل وغيرها، فمن الضروري محاولة تحسين الذات بالتحكم في الرغبات ويكون ذلك من خلال تدريب عقولنا بطريقة تمكننا من توجيه رغباتنا بشكل أفضل وعدم جعل أنفسنا معتمدين على أشياء خارجية.

عند التعريج على "أوغسطينAugustine" كان الكمال بالنسبة للمسيحية عني الانسحاب من العالم أما أولئك الذين اختاروا الحياة الرهبانية فقد عاشوا بمفردهم في مجتمع الأديرة وكانوا يمارسون الزهد أي الحياة البسيطة، والانضباط الذاتي والامتناع عن الملذات الجسدية وإنكار الذات وأحيانا إماتة الجسد، وكان المقصود من هذا خلق الظروف التي يمكن من خلالها للمرء أن يصل إلى التحول الروحي والكمال السيطرة على المشاعر واستئصال الخطيئة الداخلية والوقوع في حب الله بالكامل.

فكرة الكمال الذاتي تنبع أيضا من العصور القديمة وهي جزء من التقاليد المسيحية، فبالنسبة لأرسطو فإن الكمال الذاتي يعني تحقيق هدفك كإنسان أما بالنسبة للرواقيين فإن الكمال الذاتي يعني أن تكون في انسجام مع الطبيعة والعقل. لكن في الفلسفة المسيحية على سبيل المثال اعتقد "أوغسطين" بأن معرفة الذات والسعي إلى الكمال أمر مهم، فالكمال يعني أن تكون بارا وبلا خطيئة وهو ما لا يمكن بلوغه إلا بعد الحياة ويتجسد في المسيح ولكن يتعين علينا أن نتأكد من أننا على المسار الصحيح نحوه. (Coeckelbergh, 2022, p. 10 11)

انتقل مفهوم الذات وتغير في القرن السابع عشر مع "ديكارتDescartes" الذي وضع الكوجيتو"أنا أفكر إذا أنا موجود" وأظهر تدريجيا رؤية مفادها أن الذات المفكرة ليست ببساطة جزءا من العالم ولكن العالم موجود بطريقة ما لمثل هذه الذات، والواقع أن تغيير الفلسفة الحديثة لتوجهاتها كان يعني أن هذا التحليل الدقيق للذات المفكرة قد حل محل حتى التفسير الميتافيزيقي التقليدي لطبيعتها.

نجد كذلك "دفيد هيوم David Hume" يرفض فكرة وجود ذات جوهرية ويعتبرها وهمية لأنها ليست كيانا مستقلا بل مجموعة من الخبرات المتغيرة المرتبطة بالتجربة الحسية، فالذات ليست سوى حزمة من الادراكات المختلفة التي تتعاقب بسرعة وهي في حركة وتغير دائم. فلا يستطيع عقلنا إدراك شيء يسمى "الذات" بل مجرد سلسلة من الادراكات التي ترتبط بالعالم الخارجي كالحرارة والبرودة الألم الكراهية وغيرها لذلك هي عبارة عن وهم فقط لا غير.

يدافع "ايمانويل كانط Immanuel Kant" أن الذات هي شيء غير مادي أي كائن متسام موجود خارج المكان والزمان، موضوع خالص أو تجربة إدراكية ومفاهيمية وجمالية، أما بالنسبة ل"فريديريك هيغلFriedrich Hegel" فإن الذات كيان وجوهر يتفاعل مع العالم والآخر وتتطور من خلال هذا التفاعل وهذا ما سماه بالصراع بين الذوات من أجل الاعتراف، لذلك يرى أن الذات تمر بمراحل بدءا من الوعي الذاتي البسيط وصولا إلى الذات المطلقة أو الجوهر.

نجد إذا بأن فهوم الذات في الحداثة لا يتعلق بمعرفة الجوهر أو الماضي أو الحياة الطيبة التي من المفترض أن تكون هي نفسها لجميع البشر، بدلا من ذلك يطلب من الأفراد بناء واقعهم الخاص وأنفسهم إذ يمكننا أن نحدد من نحن ومن نريد أن نصبح إن الأمر لا يتعلق بالاعتراف بالحدود وماضيك، بل يتعلق بالتغلب عليها وبصنع حياتك ومستقبلك، إذ نجد "نيتشهNietzsche" و "سارترSartre" قد عبرا على ذلك، فنيتشه اعتقد بأنه علينا أن نخلق أنفسنا بل ونخلق قيمنا الخاصة أما سارتر فقد اعتقد أننا نحدد من خلال اختياراتنا الفردية فنحن ما نصنعه من أنفسنا. (Coeckelbergh, 2022, p. 10)

يؤكد "سيغموند فرويد Sigmund Freud" بأن الذات ليست شفافة تماما بالنسبة لنفسها. إذ اعتقد "فرويد" أن هناك اللاوعي وهو جزء من العقل يؤثر ولكننا لا ندركه إذا كان هذا صحيحا فلن نتمكن من معرفة أنفسنا تماما. نحن دائما إلى حد ما لغز بالنسبة لأنفسنا. إننا ندرك أن هناك غريبا في داخلنا وغريبا في ذاتنا وما كنا نظنه الذات هو في الواقع غريب بعض الشيء وغامض، فهي مثل الجبل الجليدي الذي يشكل جزؤه المغمور تحت الماء جانبا عميقا فينا.

يشير كذلك "لاكان Lacan" بوجوب أن تحل الذات الحميمة الحديثة محل الذات الخارجية ما بعد الحداثية ويبدأ الداخل في الشعور بأنه خارجي وتصبح غرفة المعيشة محتلة ومضطربة بفعل المدينة، إن ما نحن عليه "داخليا" يتشكل بفعل "الخارج" وهذا يعني أن التنوير والمثل القديمة لتحسين الذات تخطئ عندما تفترض أنه من الممكن أن نعرف أنفسنا بشكل كامل وأن نشكلها بشكل مستقل، نحن لا نستطيع أن نمنح أنفسنا القانون عندما يكون القانون الآخرين واللغة والقواعد وما إلى ذلك موجودا بالفعل في داخلنا. وينطبق الأمر نفسه من باب أولى على رؤى تعزيز الذات فعندما لا تكون الذات جوهرا ثابتا يمكن جعله شفافا، يصبح من المستحيل ترقيتها أو تحميلها وما لا نعرفه لا يمكن التحكم فيه ناهيك عن تعزيزه. (Coeckelbergh, 2022, p. 81)

يوضح "بول ريكور Paul Ricoeur" في كتابه "الذات عينها كآخر" أن الذات كيان مركب يتفاعل مع ذوات أخرى وتتأثر بالمحيط الذي تعيش فيه وانطلاقا مما تقوم الذات بسرده في الكتب مثلا تبدأ هويتها في التكوين، وفي نفس الوقت الوجود الجمعي الذي تندرج فيه الذات السردية يلزمها بمجموعة من الضوابط الأخلاقية التي تؤهلها لأن تكون ذاتا، كما لا يمكننا إهمال دور الذاكرة في تشكيل الهوية ضمن السياق الاجتماعي والثقافي، فقدم بذلك مفهوما متكاملا وديناميكيا للذات.

يقترن اليوم الاعتقاد القائل بخلق ذات تتمتع بالكمال والسعي إلى تعزيزها لتصبح ذاتا مثالية أكثر، لكن قبل هذا تم النظر إلى الذات بأنها شيء مادي مثله مثل السلع المادية وتم تشييؤها مما أثر على الإنسان وجانبه الروحي وهويته التي تميزه.

تشيئ الذات

تبرز مقولة التشيؤ بالدرجة الأولى إلى سيطرة النظام الاقتصادي الرأسمالي، الذي أدى إلى تشييء العلاقات الإنسانية وتحويلها إلى أشياء جامدة خاضعة لمنطق التبادل التجاري، بحيث يتحول البشر إلى سلع أو بضائع ويخضعون لقوى خارجة عن إرادتهم، ويظهر العالم الاجتماعي على هيئة عالم من الأشياء، وعندئذ فقط تصبح السلعة حاسمة لإخضاع وعي البشر للأشكال التي يجد فيها هذا التشييء تعبيره.

إن تحويل علاقة السلعة إلى شيء من الموضوعية الشبحية لا يمكن أن يكتفي بتقليص جميع الأشياء لإشباع الحاجات الإنسانية إلى سلع، إنه يترك بصمته على وعي الإنسان بذاته بالكامل فلم تعد صفاته وقدراته جزءا عضويا من شخصيته بل أصبحت أشياء يمكنه امتلاكها أو التصرف فيها مثل الأشياء المختلفة في العالم الخارجي ولا يوجد شكل طبيعي يمكن أن تتشكل فيه العلاقات الإنسانية ولا توجد طريقة يمكن للإنسان من خلالها أن يضع صفاته الجسدية والنفسية موضع التنفيذ دون أن تخضع بشكل متزايد لعملية التشييء هذه (Blunden, 1967, p. 19 20).

نجد إذا أنه مع ظهور مجتمع تبادل السلع الذي ينتج ويفترض تفكيرا هوياتيا أصبح الفرد لا يستطيع أن يبق على قيد الحياة إلا بالتخلي عن فرديته، فلا يوجه التفكير الهوياتي تصور الناس للمنتجات فحسب بل يوجه تصوراتهم عن كل الأشياء والكائنات

الحية، حتى الأفكار التي تبدو متناقضة مثل التصنيف العرقي ومفهوم المساواة البشرية الشاملة تثبت انتشار مبدأ الهوية الحالي. (Stoetzler, 2015, p. 194)

من هنا يمكن القول بأن الإنسان أصبح غريبا عن نفسه وتحول إلى سلعة تخضع للموضوعية غير البشرية تماما مثل أي سلعة استهلاكية نتيجة غلبة المصالح الاقتصادية وفقدان التعاطف مع الغير، فالتشيؤ يمثل أهم العوائق التي تحول بين الذات وبين تحقيق هويتها حيث يتم معاملة الذوات بشكل أداتي بغض النظر عن صفاتها وخصائصها الإنسانية ويسعى فقط لتلبية رغبات الآخرين وإرضائهم فيؤسس بذلك لعلاقة شيئية مع ذاته، لذلك نجد "أكسل هونيثAxel Honneth" صاحب كتاب "الصراع من أجل الاعتراف" قدم مشروعه المتمثل في نظرية الاعتراف التذاوتي التي تتم بين الفرد والغير كعلاج للتشيؤ ويكتسب الفرد وعيه بذاته داخل نسيج المجتمع.

قدمت التحليلات النسوية رواية بنائية اجتماعية لجسد الأنثى بحجة أنه في المجتمعات الغربية ووسائل الإعلام الجماهيرية يتم بناء جسد الأنثى اجتماعيا كشيء يجب النظر إليه وتقييمه، تنص نظرية التشييء على أن المجتمع ينظر إلى النساء غالبا كأشياء جنسية مع التركيز على كل أجسادهن أو جزء منها في سياق جنسي بدلا من قدراتهن. (Gattino, Silvia; Czepczor-Bernat, Kamila; Fedi, Angela, 2023, p. 27 28)

لقد تم توجيه الرسالة التي مفادها أن المظهر الجسدي يشكل أساس الهوية واحترام الذات والنجاح الاجتماعي والاقتصادي ومفهوم الذات بشكل أساسي إلى النساء، إذ يعمل هذا الضغط الخارجي على تعزيز انشغال النساء بأجسادهن ويسبب مشاعر سلبية مرتبطة بالجسد وخاصة الخجل والقلق كما يزعم "كالوجيرو Calogero " و"جوست Jost" فإن تجربة تشييء الذات بين النساء مدفوعة أيضا بعوامل أيديولوجية أوسع، وتماشيا مع نظرية تبرير النظام أكد هؤلاء العلماء أن تشييء الذات يمكن اعتباره نتيجة للأيديولوجيات الجنسية السائدة وتبرير الوضع الراهن بين الجنسين من خلال توجيه انتباه النساء إلى إدارة المظهر على حساب مجالات أخرى من الحياة، يحدث هذا على الرغم من أن التفاوت بين الجنسين يفرض تكاليف كبيرة على الفتيات والنساء كأفراد وكمجموعة. (Gattino, Silvia; Czepczor-Bernat, Kamila; Fedi, Angela, 2023, p. 28)

على الرغم من أن فكرة تشيء الذات كانت على نطاق واسع بين النساء إلا أن الأبحاث الحديثة تشير إلى أن أجساد الرجال أصبحت أيضا خاضعة لفكرة التشييء الذاتي داخل الثقافات الغربية، إذ يبدو أن الرجال يظهرون مستويات أقل من إضفاء الطابع الموضوعي على الذات مقارنة بالنساء ومع ذلك بالمقارنة مع نظرائهم الأكبر سنا يولي الشباب المزيد من الاهتمام لمظهرهم الجسدي وجاذبيته والتي تأخذ خصائص مختلفة مثل الميل على اعتبار العضلات أكثر من النحافة بين معايير الجمال المشتركة اجتماعيا. (Gattino, Silvia; Czepczor-Bernat, Kamila; Fedi, Angela, 2023, p. 28)

يمكن القول إذا بأن فكرة التشيؤ بدأت بجعل الذات مجرد شيء مثل السلع المادية منذ ظهور الرأسمالية وانتشرت هذه الفكرة لتشمل كذلك المرأة، حيث يتم تجسيد النساء وتقليصهن إلى وضع مجرد أدوات متاحة للفحص البصري والتقييم وإسعاد الآخرين. فمن خلال انتشار تجارب التشييء الذاتي الجنسي يتم تربية النساء على استيعاب منظور المراقب لجسدهن وتحدث عندما تنظر النساء إلى أنفسهن ويعاملن أنفسهن كأشياء جنسية يجب النظر إليها وتقييمها بناء على التشييء الذاتي ومؤشراته البيولوجية والنفسية والاجتماعية.

تحسين الذات باستخدام الذكاء الاصطناعي وظهور الذات البيانية الكمية

كانت الأساليب والتقنيات التقليدية لتحسين الذات في العصور القديمة والإنسانية تفترض دائما أن هناك طبيعة بشرية يجب التعامل معها إذ كان تحسين الذات يعني حينها أن تصبح إنسانا مثاليا خاصة إذا قام البشر بتنمية قدراتهم الفكرية، فكل هذا كان ممكنا لأنه لصيق بالطبيعة البشرية فقد تم قبولها كما لو كانت أمرا مسلما به.

لكن هذه النظرة تغيرت عندما انفتحنا على إمكانيات تكنولوجية جديدة تعد بما يشار إليه باسم "التحسين البشري" أي تحسين أو تعزيز العقل والجسد البشريين أنفسهما بوسائل تكنولوجية جديدة.

إن هذا النهج المتطور والتكنولوجي لتحسين الذات يختلف بشكل كبير عن الطرق التقليدية لتحسين الذات، فالناس الذين يستخدمون الأساليب السقراطية والتقنيات الرواقية، أو الناس الذين يعتنقون الاستقلالية الحديثة وحتى الاختيار الوجودي لا يهدفون إلى تحسين أنفسهم إلى ما يتجاوز ما يمكن للبشر تحقيقه، بل إنهم يحاولون بدلا من ذلك أن يصبحوا بشرا بالكامل وفي بعض الحالات أن يصبحوا أنفسهم بالكامل. (Coeckelbergh, 2022, p. 76)

كانت فكرة تحسين الذات ترتبط بالقدرة على القيام بذلك بنفسك، ويبدو أن استخدام الآلة للمساعدة في التغلب على الميول الطبيعية يشبه استخدام طريق مختصر لا يؤدي حقا إلى تحسين الذات على الأقل ليس وفقا لهذه الآراء التقليدية، ويمكننا القول بأن التكنولوجيات الجديدة تعد بالتنوير السريع فهي قادرة على المساعدة في مجالات مختلفة من الحياة ولكنها لا يمكن أن تكون بديلا في اكتساب المعرفة الذاتية واكتساب المزيد من الحكمة.

يتم استخدام الذكاء الاصطناعي في تحسين الذات البشرية، ويمكننا الإشارة إلى كون مصطلح الذكاء الاصطناعي قد ظهر على يد "جون ماكرثي John Mccarthy" إذ بدأ البحث فيه عام 1956م عندما أقنع مع "مارفن مينيسكي Marvin Minsky " وهما عالما رياضيات كلا من "كلود إ. شانون Claude E. Shannon" مخترع نظرية المعلومات و"ناثانيل Nathaniel" مصمم أول كمبيوتر من شركة آي بي إم، أن ينضما إلى برنامج كان الهدف منه هو افتراض أن كل جوانب التعلم وسمات الذكاء قابلة نظريا لأن توصف بدقة بطريقة تمكن الآلات من محاكاتها، إذ يعرف "جون ماكرثي" الذكاء الاصطناعي بقوله بأنه هو علم وهندسة صنع الآلات الذكية، وخاصة برامج الكمبيوتر الذكية، وهو مرتبط بمهمة مماثلة تتمثل في استخدام أجهزة الكمبيوتر لفهم الذكاء البشري، ولكن الذكاء الاصطناعي لا يجب أن يقتصر على الأساليب التي يمكن ملاحظتها بيولوجيا. (McCarthy, 2007, p. 2)

تعد الحوسبة السحابية مهمة لتطوير وتطبيق الذكاء الاصطناعي لأنها تستفيد من مزايا المعالجة والتخزين الموزعة، وبالتالي توفر الوصول إلى كميات هائلة من قوة المعالجة والبيانات. يتيح استخدام التقنيات اللاسلكية. مثل شبكة Bluetooth، wi-fi والشبكات الخلوية 4G لأنواع متعددة من الأجهزة، مثل الهواتف الذكية والأجهزة الذكية القابلة للارتداء، الاتصال بالأجهزة والبيانات الأخرى والتكامل معها وهذا ما نجده قد تم استخدامه لتخزين مختلف المعلومات حول الذات في تطبيقات شتى.

أصبح العقل لا يقتصر على الجسد الطبيعي فكما يمكن تمديد الجسد من خلال استخدام الأطراف الاصطناعية أو غيرها من الأجهزة فإن العقل يمكن أن يمتد أيضا، وبهذا المعنى يمكن اعتبار الذات على شبكة الانترنت امتدادا للجسد البشري جسد الشخص الذي يخلق ويدير تلك الذات على شبكة الانترنت. (Hongladarom, 2016, p. 27 28)

إن التقنيات الرقمية المعاصرة تساعد على تحسين الذات بعدة طرق وأكثرها وضوحا هي أنها تقدم لنا المعلومات فالإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي تقدم لنا معلومات عن التطبيقات وورش العمل وجميع أنواع أساليب تحسين الذات. فتمكننا من التواصل والمقارنة من خلال الشبكات الاجتماعية فنحن نرى كيف يعمل الآخرون على تحسين أرواحهم ونرى جهودهم ومعاناتهم ومدى نجاحهم أو فشلهم، وهم يفعلون الشيء نفسه.

مع إدخال الذكاء الاصطناعي وغيره من التقنيات الرقمية تغير شيء ما بشكل أساسي نوع المعرفة الذاتية ونوع الذات التي نعمل على تحسينها فبينما نعمل ونتأمل يتم تعقبنا وتحويلنا إلى بيانات وتحليلها وبيعها، وهذا يعني أن ذاتنا أصبحت كمية. لم تعد الذات الغامضة والمظلمة والمعقدة التي يتم استكشافها في الروايات وعلم النفس الإنساني القديم، في ظل نظام الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة نحن أرقام عديدة يتم تسجيل جميع نقراتنا وحركات الماوس وإدخالات لوحة المفاتيح والتنزيلات ومعالجتها بطرق حسابية، وتتحرك هذه البيانات حول العالم ويتم تحليلها وتخزينها وبيعها واستخدامها. (Coeckelbergh, 2022, p. 63)

وهذا له عواقب على الطريقة التي نعرف بها أنفسنا ونتواصل بها مع ذواتنا فظهر مصطلح "الذات الكمية Quantified self "كما أطلق عليها اثنان من الصحفيين في Wired في عام 2007 وهما "جاري وولفGary Wolf" و"كيفن كيلي Kevin Kelly"، إذ تعرف "ميلاني سوران Milani soran" الذات الكمية بأنها أي فرد منخرط في تتبع ذاتي لأي نوع من المعلومات البيولوجية أو الجسدية أو السلوكية أو البيئية أي أن هناك موقف استباقي اتجاه الحصول على المعلومات والعمل عليها. (Hoogendoorn & Burkhardt, 2018, p. 2)

الذات الكمية هي أي فرد منخرط في تتبع ذاتي لأي نوع من المعلومات البيولوجية أو الجسدية أو السلوكية أو البيئية، يتم دفع تتبع الذات بهدف معين للفرد مع الرغبة في التصرف بناء على المعلومات المجمعة. إن البيانات التي تندرج تحت مسمى الذات الكمية تعتمد بشكل كبير على التطور السريع لأجهزة القياس الجديدة التي استخدامها بالرجوع إلى الذكاء الاصطناعي.

تم إنشاء الموقع الرسمي Quantified Self والمختبرات المرتبطة به التي تقوم على التعاون بين المستخدمين وصانعي الأدوات المهتمين بالعمل معا لمشاركة الخبرة الفنية وتجارب تتبع الذات، يوفر الموقع منتديات للمناقشة ويدعم الاجتماعات الإقليمية للأعضاء ومؤتمرين دوليين سنويين QS Global في كاليفورنيا وQS Europe في أمستردام وينشر مدونة يتم فيها شرح جوانب مختلفة من تتبع الذات ويتم نشر استراتيجيات ونتائج الأعضاء حول جهود تتبع الذات الخاصة بهم، كما تم إنشاء معهد بحثي أكاديمي يسمى معهد Quantified Self في هولندا من قبل جامعة Hanze للعلوم التطبيقية بالتعاون مع مختبرات Quantified Self. (Deborah, 2016, p. 19)

نلاحظ إذا بأن هناك عشرات الآلاف من تطبيقات التتبع الذاتي متاحة للتنزيل على الهواتف الذكية التي يمكنها الاعتماد على المعلومات التي تم جمعها بواسطة أجهزة استشعار مدمجة في الجهاز أو تسهيل إدخال بيانات أخرى من قبل المستخدم حول أنشطته وسلوكياته اليومية مثل Fitbi/Jawbone's/Nike Fuelban التي يمكن ارتداؤها كأساور أو تثبيتها على الأحزمة.

وهذا ما أدى فعلا إلى تغير مفهوم الذات إلى الذات البيانية فكل شيء متعلق بنا أصبح على شكل بيانات.

توجد كذلك الأجهزة اللوحية الرقمية القابلة للابتلاع والتي ترسل إشارات لاسلكية من داخل الجسم إلى رقعة يتم ارتداؤها على الذراع، فقد تم تصميم هذه الأجهزة لجمع البيانات تلقائيا عن الوظائف الجسدية مثل النشاط البدني والنبض ومعدل التنفس ومعدل ضربات القلب ودرجة حرارة الجسم والسعرات الحرارية المحروقة وموجات الدماغ وأنماط النوم وغيرها، فبدون تطبيق الصحة

العقلية لن نعرف على وجه التحديد مدى القلق والاكتئاب المرتبط بنا مقارنة بالأشخاص الآخرين أي إلى أي فئة إحصائية ننتمي إليها.

إن هذا النوع من المعرفة يخلق نوعا خاصا من المعرفة عن الذات: المعرفة الكمية، المعرفة التي يمكن وضعها في أرقام. ومن خلال الانخراط في هذه الممارسات نتمكن من فهم نفسنا باعتبارنا ذاتا بيانية ويمكن أن نتتبع ذاتنا وننتج بياناتنا الخاصة بنا ونقوم بعملية قياسها أيضا.

إذا كان الذكاء الاصطناعي يعرفنا أفضل من أنفسنا فيبدو أن العناية القديمة بالذات والأساليب الإنسانية لتحسين الذات أصبحت عتيقة تماما، في كتاب "الإنسان الإلهيHomo Deus" يكتب "يوفال نوح هراري Yuval Noah Harari" أنه وفقا للدين التكنولوجي الناشئ الجديد الذي يعبد البيانات، يمكننا الاستغناء عن الحكمة التي تقدمها الأديان القديمة والجهود الإنسانية للتواصل مع نفسنا، إن معرفة أنفسنا تظل أمرا ضروريا ولكن من أجل ذلك لدينا الآن جوجل، فيسبوك، الحمض النووي، والأجهزة القابلة للارتداء (Coeckelbergh, 2022, p. 68 69)

لقد كنا دائما أكثر من مجرد أجسادنا فنحن نفكر في أشياء مع ذكريات وأدوات وأهداف لكن ذاتنا الموزعة المعاصرة تتكون جزئيا من بيانات الرقمية، في كثير من الحالات يتم تخزينها وامتلاكها من قبل الآخرين، إن العديد من الوثائق الرقمية التي تكمل ذاكرتي وترشدني في عملي مخزنة في السحابة، وكذلك الصور الموجودة على هاتفي الذكي والتي توثق ذكرياتي وأنشطتي واهتماماتي فأنا أنتج البيانات أثناء تصفحي للويب، والتنقل في جامعتي ومدينتي وإجراء المشتريات والتواصل مع الآخرين. (Elliott, 2024, p. 182 183)

على مدى العشرين عاما الماضية حدثت عدة ثورات في أجهزة الكمبيوتر والبرمجيات، ولكن إسقاط الذات على الوسائط الحاسوبية كان متسقا ودراماتيكيا. ففي عام 1984 كان الإشارة إلى هذا الإسقاط من خلال تسمية أجهزة الكمبيوتر "**الذات** الثانية Second Self" استفزازا. أما اليوم فلم يعد هذا الاستفزاز كافيا، فمن أجل الاستفزاز يميل المرء إلى الحديث ليس فقط عن الذات الثانية ولكن عن جيل جديد من الذات ذاتها. (Turkle, 2005)

في كل حالة يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لتعزيز الطبيعة البشرية لكن الاستخدام المفرط والاستخدام الخاطئ يخلق المخاطر فإن الخوف أو الجهل غير المبرر أو ردود الفعل المفرطة قد تؤدي إلى قيام المجتمع باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي بأقل من إمكاناتها الكاملة.

فقدان الذات في ظل الذكاء الاصطناعي

تطرح الذات البيانية الكمية العديد من التهديدات التي تمس الإنسان إذ أصبح يتم استخدام الذكاء الاصطناعي لقياس الذات والمجتمع من أجل التلاعب بهما وهندستهما، فبعد الإعدادات التأديبية التي وصفها فوكو، هناك تعديلات أكثر سلاسة فبدلا من الأفراد المعاصرين نجد أفرادا موزعين عبر قواعد البيانات وملفات الكمبيوتر والحواسيب هي الآلات التي تنتمي إلى مجتمع السيطرة، وهي تمكن من التتبع والتحكم، واليوم تعمل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي على تكثيف مثل هذه الأشكال من السيطرة لم نعد أفرادا عصريين بل ما بعد حداثيين يتم تحليلنا والتحكم فينا بواسطة الذكاء الاصطناعي وغيره

مع الذكاء الاصطناعي يتخذ هذا التشابك بين البشر والآلات أشكالا جديدة إذا أردنا تحسين أنفسنا فمن الأفضل أن نعترف بأنه من المستحيل خلق ذات معزولة عن الآخرين أو عن التكنولوجيا في حين يجب أن نرفض الذات المغايرة تماما التي يتم التحكم فيها وتجزئتها فإن الذات المستقلة تماما لن تكون تحسنا لن تكون بشرية على الإطلاق.

هناك معرفة يتم إنشاؤها غير متاحة لنا على الإطلاق عندما يتم التقاط البيانات أو تحليلها دون علمنا أو موافقتنا، لا نعرف حتى الأرقام المتعلقة بها ناهيك عما تم القيام بها، قد نعرف أن موقع ويب أو تطبيقا معينا يتتبعني ولكنني أجهل تماما البيانات التي يتم أخذها، وما يتم فعله بالبيانات وكيف يتم إنشاء المعلومات التي يتم إرجاعها إلي حتى لو وافقنا فقد لا نعرف على وجه التحديد ما تفعله خوارزمية الذكاء الاصطناعي أو ما فعلته وكيف تم تدريبها على أي بيانات، ومن اتخذ القرارات بشأن كل هذا؟. (Coeckelbergh, 2022, p. 56 66)

قد تساعد التقنيات في دعم هذا المجتمع ولكنها في الوقت نفسه قد تصبح خطرا وذلك اعتمادا على كيفية برمجتها وأيضا على الطرق المحددة التي تتفاعل بها مع بقية النظام البيئي الاجتماعي وبالتالي ليس كافيا أن نقول ببساطة "تغيير المجتمع" أو حتى "تغيير التكنولوجيا" بل إن الأمر يتطلب تغيير النظام البيئي الاجتماعي التكنولوجي بأكمله. وبالتالي يمكننا استخدام مصطلح "الثقافات التكنولوجية" للتأكيد على الدور البشري والطرق التي ترتبط بها التكنولوجيا بالبشر والثقافة البشرية لا تعمل التكنولوجيات بمفردها فحسب نحن نصنعها ونستخدمها ونتفاعل معها. (Coeckelbergh, 2022, p. 116 117)

توفر أجهزة الكمبيوتر كذلك إمكانية الإبداع والعمل داخل العوالم الاصطناعية سواء لمحاكاة سلوك الاقتصادات أو الأنظمة السياسية أو الجسيمات دون الذرية الخيالية، ومثل نرجس وانعكاسه يمكن للأشخاص الذي يعملون مع أجهزة الكمبيوتر أن يقعوا بسهولة في حب العوالم التي بنوها أو في حب آدائهم في العوالم التي خلقها لهم آخرون. فيؤثر بذلك الانخراط في العوالم المحاكية على العلاقات مع العالم الحقيقي وينغمس بذلك الأفراد في العالم الافتراضي وينسون ذاتهم الحقيقية وهويتهم التي يجب أن يكونوا على وعي بها فينقادون في متاهات تكون عواقبها جسيمة.

بالتالي إذا أردنا تحسين أنفسنا فمن الأفضل أن نبدأ بقبول أنفسنا والاعتراف بالحدود التي تحد من معرفة الذات وفتح أنفسنا للآخرين والاستجابة لبيئتنا بطرق تجعل ننمو. وإذا كان لزاما علينا أن نحب أنفسنا فيتعين علينا أن نطور نوع حب الذات وتجنب العمل على تحسين الذات والذي يكون دائما على حساب أنفسنا والآخرين، وبالتالي يدمر ما كان يريد تحسينه.

خاتمة:

نتوصل في الأخير إلى القول بأن فهم الذات وتحسينها كانت فكرة سائدة منذ العصور القديمة وتبلورت وتغيرت نتيجة لتاريخ كامل وثقافة ومجتمع واقتصاد وتكنولوجيا مرتبطة بها، فلقد اختلطت الأفكار المتعلقة بمعرفة الذات وتحسينها مع عدد من الأفكار والتطورات المجتمعية الأخرى وانبثقت من خلالها الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى القيام بممارسات لتحسين الذات باستخدام الذكاء الاصطناعي هذا ما أفر مشكلة أخلاقية وغير صحية جسديا وعقليا، لذلك لا بد من إيجاد طريقة أفضل لتحسين الذات مع الحفاظ على طابعها العلائقي في الوسط الاجتماعي .

إن رغبة الانسان وسعيه الدائم في تحقيق التطور والتقدم والقيام بمختلف الاكتشافات لتغيير ذاته باستخدام التكنولوجيا أمر مضلل مما ولد نرجسية كارثية وأزمة قيمية وجودية، لذلك لا يمكن حل أزمة تحسين الذات إلا إذا توقفنا عن القلق كثيرا بشأن تحسين

أنفسنا وبدلا من ذلك إعادة التفكير وإعادة تشكيل كل من التكنولوجيات والمجتمعات في ضوء رؤية علائقية للذات والخير والشر والمجتمع الصالح.

لا بد أن نساهم في تشكل حياة ووجود إنساني وهوياتي في إطار قيمي وقانوني بدلا من مجرد جمع وتحليل البيانات لأن الانغماس في الذكاء الاصطناعي والرغبة في تحسين الذات في عوالم افتراضية قد ترتبت عنه مشاكل مست هويّته وتميزّه، لذلك لابد أن نفهم أنفسنا بطرق أكثر ارتباطا بالآخرين وأن نساهم في بناء مجتمعات أرقى لكي تظهر ذوات أفضل وننشر من فكرة أخلقة التكنولوجيا وربطها بالقيم والثقافات المختلفة للحد من عواقبها.

المصادر والمراجع:

McCarthy, J. (2007). *WHAT IS ARTIFICIAL INTELLIGENCE.* Stanford university: Stanford.
Turkle, S. (2005). *The Second Self Computers and the Human Spirit.* London: The MIT Press.
Coeckelbergh, M. (2022). *Self-Improvement.* New York: Columbia University Press.
Deborah, L. (2016). *The Quantified Self.* USA: Polity Press.
Elliott, A. (2024). *The De Gruyter Handbook of Artificial Intelligence, Identity and Technology Studies.* Bosten: Walter de Gruyter.
Gattino, Silvia; Czepczor-Bernat, Kamila; Fedi, Angela. (2023). Self-Objectication and its Biological, Psychological and Social Predictors: A Cross-Cultural Study in Four European Countries and Iran. *EJOP Europe's Journal of Psychology, 19*(1), 27-47.
Hongladarom, S. (2016). *The Online Self Externalism, Friendship and Games.* Bangkok, Thailand: Springer.
Hoogendoorn, M., & Burkhardt, F. (2018). *Machine Learning for the Quantified Self on the Art of Learning from Sensory Data.* Switzerland: Springer.
L.GARFIELD, J. (2022). *Losing Ourselves.* USA: Princeton University Press.
Radoev Dimkov, P. (2020). The Concept of Self in Eastern and Western Philosophy. *5th International e-Conference on Studies in Humanities and Social Sciences* (pp. 197-204). Belgrade- SERBIA: C O A S.
Remes, P., & Sihvola, J. (2008). *Ancient Philosophy of the Self.* Springer.
Stoetzler, M. (2015). Authority, Identity, Society: Revisting the Frankfurt School. *Book Review Essay, 49*, 191-197.

Blunden, A. (1967). Reification and the Consciousness of the Proletariat. (S. Karageorgis, Ed.) *History & Class Consciousness*, 1-35.
Gattino, Silvia; Czepczor-Bernat, Kamila; Fedi, Angela. (2023). Self-Objectication and its Biological, Psychological and Social Predictors: A Cross-Cultural Study in Four European Countries and Iran. *EJOP Europe's Journal of Psychology, 19*(1), 27-47.
Radoev Dimkov, P. (2020). The Concept of Self in Eastern and Western Philosophy. *5th International e-Conference on Studies in Humanities and Social Sciences* (pp. 197-204). Belgrade- SERBIA: C O A S.
Stoetzler, M. (2015). Authority, Identity, Society: Revisting the Frankfurt School. *Book Review Essay, 49*, 191-197.